مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

وُجُوبُ تَدَبُّرِ الْمُسْلِمِ لِلْقُرْآنِ

فَإِنَّ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَقْضِي بِوُجُوبِ تَدَبُّرِ الْمُسْلِمِ الْقُرْآنَ، وَقَدْ سَهَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ لِلْحِفْظِ وَالتِّلَاوَةِ، حَتَّىٰ اسْتَظْهَرَهُ صِغَارُ الوِلْدَانِ، وَسَهَّلَ مَعَانِيَهُ أَيْضًا لِلْفَهْمِ وَالعِلْمِ، فَهُوَ أَحْسَنُ الكَلَامِ لَفْظًا، وَأَصْدَقُهُ مَعْنًىٰ، فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ؛ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ مَطْلُوبَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَلِهَذَا كَانَ عِلْمُ القُرْآنِ -حِفْظًا وَتَفْسِيرًا- أَسْهَلَ العُلُومِ، وَأَجَلَّهَا عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَهُوَ العِلْمُ النَّافِعُ الذِي إِذَا طَلَبَهُ العَبْدُ أُعِينَ عَلَيْهِ؛ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ -وَهُوَ مَطَرٌ الوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللهُ(٢)، كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»-، عِنْدَ هَذِهِ الآيَةِ: «هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانُ عَلَيْهِ؟»(٣)».

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٨٢٦.

(٢) هو الإِمَامُ الزَّاهِدُ: مَطَرُ بنُ طَهْمَانَ، أَبُو رَجَاءٍ الوَرَّاقُ الخُرَاسَانِيُّ، كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ، وَكَانَ يَكْتُبُ المَصَاحِفَ وَيُتقِنُ ذَلِكَ، احْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ وَلَا يَنحَطُّ حَدِيْثُه عَنْ رُتبَةِ الحَسَنِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ خمس وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ.

انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٥/ ٤٥٢، ترجمة (٢٠٢).

(٣) ذكره البخاري معلقا مجزوما به في «**الصحيح**»: كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

=

فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ تَذْكِرَةٌ لِعُمُومِ العَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٥- ٢٧]، أَيْ: مَا الْقُرْآنُ إِلَّا تَذْكِيرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي صَلَاحِ اعْتِقَادِهِمْ، وَطَاعَةِ اللهِ رَبِّهِمْ، وَتَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِمْ، وَآدَابِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ حُقُوقِهِمْ، وَدَوَامِ انْتِظَامِ جَمَاعَتِهِمْ، وَكَيْفَ يُعَامِلُونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَمْ يَتَّبِعُوهُ.

فَلَفْظُ «الْعَالَمِينَ»: يَعُمُّ كُلَّ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّهُمْ مَدْعُوُّونَ لِلِاهْتِدَاءِ بِالقُرْآنِ، وَمُسْتَفِيدُونَ مِمَّا جَاءَ فِيهِ.

وَبِهَذَا، يُرَدُّ عَلَىٰ مَنْ يُرِيدُ الحَيْلُولَةَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ فَهْمِ كَلَامِ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، فَيَصْرِفُ النَّاسَ عَنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، بِدَعْوَىٰ أَنَّ القُرْآنَ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا العُلَمَاءُ الأَفْذَاذُ الرَّاسِخُونَ!

نَعَمْ؛ القُرْآنُ فِيهِ آيَاتٌ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «التَّفْسِيرُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ»(١).

=

وأخرجه موصولا: الدارمي في «**المسند**»: ١/ ٣٦٤، رقم (٣٥٨)، والْفِرْيَابِيّ فِي تَفْسِيره كما في «**تغليق التعليق**»: ٥/ ٣٧٩، والطبري في «**جامع البيان**»: ٢٧/ ٩٧، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: ١٠/ ٣٣٢٠، رقم (١٨٧٠٧)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ٣/ ٧٦، ترجمة (٢١١)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**»: ٢/ ١٠٢٠، رقم (١٩٤٥)، بإسناد صحيح.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**تفسيره**»: ١/ ٢٥٣، رقم (٤)، والفريابي في «**القدر**»: ص٢٦٤، =

فَالقُرْآنُ فِي مُجْمَلِهِ مُيَسَّرٌ -كَمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا عَنْهُ-، وَلَعَلَّ أَغْلَبَ القُرْآنِ مِنَ النَّوْعَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، وَبِنَاءً عَلَىٰ هَذَا، فَإِنَّ عَوَامَّ المُسْلِمِينَ مُطَالَبُونَ بِتَدَبُّرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ.

قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَمِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ: تَنْفِيرُهُ عِبَادَ اللهِ عَنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الهُدَىٰ وَاقِعٌ عِنْدَ التَّدَبُّرِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ مُخَاطَرَةٌ؛ حَتَّىٰ يَقُولَ الإِنْسَانُ: أَنَا لَا أَتَكَلَّمُ فِي القُرْآنِ؛ تَوَرُّعًا»(٢).

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا، أَنَّ تَدَبُّرَ القُرْآنِ مُتَاحٌ لِكُلِّ قَارِئٍ، وَكُلٌّ بِحَسَبِهِ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

=

رقم (٤١٤)، والطبري في مقدمة «**جامع البيان**»: ١/ ٣٣، وابن المنذر في «**تفسيره**»: ١/ ١٣١، رقم (٢٥٥)، والطبراني في «**مسند الشاميين**»: ٢/ ٣٠٢، رقم (١٣٨٥)، من طرق لا بأس بها، وانظر: هامش مقدمة ابن كثير في «**تفسيره**»: ١/ ١٤.

(١) هو الإِمَامُ العَالِمُ يَمِيْنُ الخِلَافَةِ: يَحْيَىٰ بنُ مُحَمَّدِ بنِ هُبَيْرَةَ، عَوْنُ الدِّينِ أَبُو المُظَفَّرِ الشَّيْبَانِيُّ الدُّوْرِيُّ البغدادي الحَنْبَلِيُّ، وَزِير الخَلِيْفَةِ العَبَّاسِيّ المُقْتَفِي لأَمْرِ اللهِ وابنه الخَلِيْفَةِ المُسْتَنْجِدِ بِاللهِ، ولد بِقَرْيَة بَنِي أَوْقرَ مِنَ الدُّورِ -أَحَدِ أَعْمَالِ العِرَاقِ- فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ، سَمِعَ القاضي أَبا الحسين بن الفراء وأَبا الحسين بن الزاغوني وَخَلْقًا، وسمع منه أبو الفرج بن الجوزي، وكان يحضر مجلسَه الأئمَّةُ والفُقَهاء، وَكَانَ سَلَفِيًّا أَثَرِيًّا بارًّا بِالعُلَمَاءِ، مات بِبَغْدَاد مسموما سَنَةَ سِتِّيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.
انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٢٠/ ٤٢٦، ترجمة: (٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن رجب في «**ذيل طبقات الحنابلة**»: ٢/ ١٥٦، ترجمة (١٤١)، بإسناد صحيح.

وَكَيْفَ لَا يُتَدَبَّرُ القُرْآنُ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللهُ لِهِدَايَةِ البَشَرِ وَسَعَادَتِهِمْ؟! كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فِي جَمِيعِ المَجَالَاتِ: فِي الِاعْتِقَادِ، وَالعِبَادَاتِ، وَالسُّلُوكِ، وَالمُعَامَلَاتِ، وَالسِّيَاسَةِ، وَالِاقْتِصَادِ، وَالِاجْتِمَاعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ الكَفِيلُ بِجَمِيعِ المَصَالِحِ، وَحَلِّ جَمِيعِ المَشَاكِلِ، قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، إِلَّا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَفَ فِي عَرَفَاتٍ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ: «.. **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللهِ**»؛ فَأَخَذَ المُوَفَّقُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ دَرْبِهِمْ بِهَذِهِ الوَصِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَأَضْحَوْا مَصَاحِفَ تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، حِينَ تَرْجَمُوا القُرْآنَ الكَرِيمَ تَرْجَمَةً عَمَلِيَّةً، فِي وَاقِعِهِمْ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِمْ، وَإِمَامُهُمْ وَقُدْوَتُهُمْ كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ -صَلَوَاتُ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-(٢).

---

(١) «**صحيح مسلم**»: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ٢/ ٨٩٠، رقم (١٢١٨).

(٢) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ...، =

فَكَانَ القُرْآنُ بِمَثَابَةِ الرُّوحِ التِي تَسْرِي فِي أَعْمَاقِهِمْ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ حَالِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَلَحَاقِهِ بِالرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ، وَانْقِطَاعِ خَبَرِ السَّمَاءِ؟!

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه -بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- لِعُمَرَ رضي الله عنه: «انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ.

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَلَّا أَكُونَ أَعْلَمَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَىٰ الْبُكَاءِ؛ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

فَلَوْ عَادَتِ الأُمَّةُ إِلَىٰ الكِتَابِ الكَرِيمِ، فِي هَذَا الزَّمَنِ الذِي عَجَزَتْ فِيهِ الأُطْرُوحَاتُ، وَالفَلْسَفَاتُ، وَالِاجْتِمَاعَاتُ، وَالمُؤْتَمَرَاتُ، عَنْ حَلِّ قَضَايَا الأُمَّةِ؛ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَائِدَةً إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا لَخَرَجَتْ مِمَّا هِيَ فِيهِ سَالِمَةً مُعَافَاةً.

=

١/ ٥١٢ و٥١٣، رقم (٧٤٦)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ**».

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ، ٤/ ١٩٠٧ و١٩٠٨، رقم (٢٤٥٤).

وَاسْتَمِعْ إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

هَكَذَا كَانُوا فِي صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ، لَا يُعَوِّلُونَ فِي حَلِّ مُشْكِلَاتِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ كِتَابِ اللهِ؛ فَيَجِدُونَ الحَلَّ الكَافِيَ، وَالبَلْسَمَ الشَّافِيَ، ثُمَّ طَالَ بِالنَّاسِ الأَمَدُ، وَخَلَفَ خُلُوفٌ، تَشَاغَلُوا عَنْ مَصْدَرِ قُوَّتِهِمْ وَعِزَّتِهِمْ، حَتَّىٰ آلَ الأَمْرُ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ اليَوْمَ.

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ تَشْقَىٰ أُمَّةٌ كِتَابُهَا القُرْآنُ؟!

وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَمِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ، فَاللهُ جَلَّوَعَلَا يَقُولُ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١- ٣].

وَيَقُولُ جَلَّوَعَلَا أَيْضًا: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤]، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ ... قُرْبُ الشِّفَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعِيسِ(١) فِي الْبَيْدَاءِ(٢) يَقْتُلُهَا الظَّمَا وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ(٣)

فَهُوَ كِتَابٌ أَنْزَلَهُ اللهُ لِنَقْرَأَهُ تَدَبُّرًا، وَنَسْعَدَ بِهِ تَذَكُّرًا، فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَىٰ بِلَادِ الْأَفْرَاحِ، ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

أَسْمَعَ -وَاللهِ- لَوْ صَادَفَ آذَانًا وَاعِيَةً، وَبَصَّرَ لَوْ صَادَفَ قُلُوبًا مِنَ الْفَسَادِ خَالِيَةً؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالِاسْتِمْسَاكِ بِالوَحْيِ المُبِينِ، وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ؛ لِأَنَّ فِيهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣- ٤٤].

---

(١) (**الْعِيْسُ**): بكسر العين، هِيَ: الْإِبِلُ البِيضُ مَعَ شُقْرةٍ يَسِيرة، واحِدُها: أَعْيَسُ وعَيْسَاء، انظر: «**الصحاح**» للجوهري: باب السين، فصل العين مع الياء، ٣/ ٩٥٤.

(٢) (**البَيداءُ**): مَفازَةٌ (صحراء) لا شيءَ فيها، انظر: «**الصحاح**»: باب الدال، فصل الباء مع الياء، ٢/ ٤٥٠.

(٣) البيتان مع شهرتهما لا يعرف قائلهما، فقد ذكرهما ابن القيم في «**زاد المعاد**»: ٤/ ٩٣، بدون نسبة، وكذا في مصادر كثيرة، ونسبهما صاحب: «**مجمع الحكم والأمثال**»: باب الهاء: الهوىٰ والميل!! ص٥٣٤، إلىٰ الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد (المتوفي نحو سنة٦٠ ق.هـ/ ٥٦٤م)، بلفظ:

«**وأمَرُّ ما لقيتُ من ألمِ الهوىٰ=قربُ الحَبيبِ وما إليه وصولُ**»

وطرفة قد جمع شعره في ديوان، ونشر في بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، وهاتان البيتان ليسا في ديوانه، والله أعلم.

«﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، أَيْ: فخرٌ لَكُمْ، وَمَنْقَبَةٌ جَلِيلَةٌ، وَنِعْمَةٌ لَا يُقَادَرُ قَدْرُهَا، وَلَا يُعْرَفُ وَصْفُهَا؛ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَّةٍ وَأَجَلُّ مِنْحَةٍ.

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾، يَعْنِي: عَنْ هَذَا القُرْآنِ العَظِيمِ، هَلْ قُمْتُمْ بِهِ؛ فَارْتَفَعْتُمْ وَانْتَفَعْتُمْ، أَمْ لَمْ تَقُومُوا بِهِ؛ فَيَكُونُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ؟»[1]، كَمَا قَالَ ﷺ: «... **وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2]، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ القِسْطُ الذِي تُعْرَفُ بِهِ مَقَامَاتُ الخَلْقِ وَدَرَجَاتُهُمْ، فَفِي «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»[3]: عَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ، أَنَّهُ لَقِيَ عُمَرَ رضي الله عنه بِعُسْفَانَ[4]، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَىٰ، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَىٰ؟ قَالَ: مَوْلًىٰ مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٧٦٦.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، ١/ ٢٠٣، رقم (٢٢٣).

(٣) «**صحيح مسلم**»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ...، ١/ ٥٥٩، رقم (٨١٧).

(٤) (**عُسْفَانُ**) بضم العين المهملة وسكون السين المهملة، علىٰ وزن فُعْلان، وهي: بلدة تاريخية عامرة، تقع شمال مكة علىٰ ثمانين كيلًا في الطريق إلىٰ المدينة المنورة، وتفترق منها ثلاث طرق: طَرِيقٌ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَقَبِيلُهُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَآخَرُ إِلَىٰ جُدَّة.
انظر: «**معجم البلدان**»: ٤/ ١٢١، و«**معالم مكة التأريخية والأثرية**»: ص١٨٨.

مَوْلَىٰ؟! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

قَالَ الإِمَامُ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَمْحُ مَوْقِعِ النِّعَمِ عَلَىٰ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَوْ بَعْضَهُ، بِكَوْنِهِ أَعْظَمَ الْمُعْجِزَاتِ؛ لِبَقَائِهِ بِبَقَاءِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَلِكَوْنِهِ ﷺ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَالْحُجَّةُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَائِمَةٌ عَلَىٰ كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْرَفُ كُتُبِهِ جَلَّ وَعَلَا، فَلْيَرَ مَنْ عِنْدَهُ الْقُرْآنُ أَنَّ اللهَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ نِعْمَةً عَظِيمَةً، وَلْيَسْتَحْضِرْ مِنْ أَفْعَالِهِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ حُجَّةً لَهُ لَا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ طَلَبِ أُمُورٍ، وَالْكَفِّ عَنْ أُمُورٍ، وَذِكْرِ أَخْبَارِ قَوْمٍ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، فَصَارُوا عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، حِينَ زَاغُوا فَأَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ، وَأُهْلِكُوا لَمَّا عَصَوْا، وَلْيَحْذَرْ مَنْ

---

(١) هو الفقيه المحدث الأصولي المحرر: مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدَّين أَبُو عبدالله الْمصْرِيّ الزَّرْكَشِيّ الشافعيّ، ولد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، أخذ عَن الشَّيْخ جمال الدّين الإسنوي وَالشَّيْخ سراج الدّين البُلْقِينِيّ ولازمه ومغلطاي، وتخرج به في الحديث ورحل لدمشق وسمع من الحافظ عماد الدين بن كثير، وكان منقطعا للعلم لا يشتغل عنه بشيء وله أقارب يكفونه أمر دنياه، توفّي بالقاهرة سنة أَربع وَتِسْعين وَسَبْعمائة.

انظر: «**طبقات الشافعية**» لابن قاضي شهبة: ٣/ ١٦٧، ترجمة (٧٠٠)، و«**الدرر الكامنة**» لابن حجر: ٥/ ١٣٣، ترجمة (١٠٥٩).

عَلِمَ حَالَهُمْ أَنْ يَعْصِيَ؛ فَيَصِيرَ مَآلُهُ مَآلَهُمْ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ عُلُوَّ شَأْنِهِ، بِكَوْنِهِ طَرِيقًا لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَصَارَ صَدْرُهُ مُصْحَفًا لَهُ، انْكَفَتَتْ نَفْسُهُ عِنْدَ التَّوْفِيقِ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَأَقْبَلَتْ عَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْهَائِلِ، وَأَكْبَرُ مُعِينٍ عَلَىٰ ذَلِكَ: حُسْنُ تَرْتِيلِهِ وَتِلَاوَتِهِ»[١].

❁ ❁ ❁

(١) «البرهان في علوم القرآن»: ١/ ٤٤٩.

أَمْثِلَةٌ عَمَلِيَّةٌ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآن

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ مَثَلًا عَمَلِيًّا فِي تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، قَعَدَ، فَنَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثُمَّ قَامَ، فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ -أَيْ: تَسَوَّكَ-، فَصَلَّىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّىٰ الصُّبْحَ».

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا صَلَاةً، فَأَطَالَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا -أَوْ قَالُوا-: يَا رَسُولَ اللهِ، أَطَلْتَ الْيَوْمَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «**إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمَّتِي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا**

---

(١) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ التَفْسِيرِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ٨/ ٢٣٥، رقم (٤٥٦٩)، و«**صحيح مسلم**»: كتاب صلاة المسافرين، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، ١/ ٥٣٠، رقم (٧٦٣).

يُهْلِكَهُمْ غَرَقًا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَرَدَّهَا عَلَيَّ»(١)، وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**». قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّىٰ بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «**أَمْسِكْ**»، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: كِتَاب الْفِتَنِ، بَاب مَا يَكُونُ مِنَ الْفِتَنِ، ٢/ ١٣٠٣، رقم (٣٩٥١).

والحديث حسنه بشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: ٤/ ٣٠٢، رقم (١٧٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، بَاب اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، ١/ ٥٣٦ و٥٣٧، رقم (٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كِتَابُ التَفْسِيرِ، بَابُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾، ٨/ ٢٥٠، رقم (٤٥٨٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، =

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: «كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ» الحَدِيثَ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

فَهَذِهِ بَعْضُ الأَمْثِلَةِ العَمَلِيَّةِ مِنْ تَدَبُّرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَكَانَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، عَلَىٰ الأَثَرِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «رَكْعَتَانِ مُقْتَصَدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ بِلَا قَلْبٍ»(٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، قَالَ: «بَلَىٰ يَا رَبِّ، بَلَىٰ يَا رَبِّ»(٣).

=

بَابُ فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ...، ١/ ٥٥١، رقم (٨٠٠).

(١) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ اقْرَأْ، ٨/ ٧١٥، رقم (٤٩٥٣)، و«**صحيح مسلم**»: كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ١/ ١٣٩ و١٤٠، رقم (١٦٠).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: ٢/ ١١٨ و٩/ ٣٢٩، رقم (٢٨٨ و١١٤٧)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «**العظمة**»: ١/ ٢٩٧ و٣٠١، رقم (٤٢ و٤٤)، وهو حسن بمجموع طرقه.

وقال أبو الدرداء وأبو هريرة والحسن البصري نحوه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ١٣/ ٣٢٦، رقم (٣٤٦٤٧)، وابن أبي الدنيا في =

وَعَنْ قَرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «بَعَثَنَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ إِلَىٰ الكُوفَةِ، وَشَيَّعَنَا، فَمَشَىٰ مَعَنَا إِلَىٰ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ صِرَار(١)، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ؟». قُلْنَا: لِحَقِّ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلِحَقِّ الأَنْصَارِ. قَالَ: «لَكِنِّي مَشَيْتُ مَعَكُمْ لِحَدِيثٍ أَرَدْتُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَحْفَظُوهُ لِمَمْشَايَ مَعَكُمْ؛ إِنَّكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَىٰ قَوْمٍ لِلْقُرْآنِ فِي صُدُورِهِمْ هَزِيزٌ(٢) كَهَزِيزِ المِرْجَلِ(٣)، فَإِذَا رَأَوْكُمْ، مَدُّوا إِلَيْكُمْ أَعْنَاقَهُمْ(٤)، وَقَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ! فَأَقِلُّوا الرِّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَنَا شَرِيكُكُمْ»(٥).

=

«**الرقة والبكاء**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٣/ ١٢٠ و١٢١، رقم (٧٦)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ١/ ٣٠٥، ترجمة (٤٤)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ٣١/ ١٢٧، ترجمة (٣٤٢١)، بإسناد حسن.

(١) (**صرار**): موضع قرب المدينة.

(٢) (**هزيز**): صوت.

(٣) (**المرجل**): إناء يغلىٰ فيه الماء، سواء كان من نحاس وغيره، وله صوت عند غليان الماء فيه.

(٤) (**مدوا إليكم أعناقهم**)، أي: للأخذ عنكم وتسليما للأمر إليكم وتحكيما لكم فألقوا الرواية.

(٥) أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: المقدمة، بَابُ التَّوَقِّي فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ١/ ١٢، رقم (٢٨).

والأثر صححه الألباني في «**صحيح ابن ماجه**»: ١/ ٢٧ و٢٨، رقم (٢٦).

أَرَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتَوَفَّرُوا عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ حَتَّىٰ يُتْقِنُوهُ، وَأَلَّا يُشْغَلُوا عَنْهُ مَعَ تَدَبُّرِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ، وَالإِحَاطَةِ بِبَعْضِ مَقَاصِدِهِ.

وَعَنْ طَاوُسَ(١)، **قَالَ**: قَالَ الحَوَارِيُّونَ لِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ: يَا كَلِمَةَ اللهِ، هَلْ عَلَىٰ الأَرْضِ اليَوْمَ مِثْلُكَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ ذِكْرًا، وَصَمْتُهُ فِكْرًا، وَنَظَرُهُ عِبْرَةً؛ فَإِنَّهُ مِثْلِي»(٢).

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «مَرَّ رَجُلٌ بِرَاهِبٍ عِنْدَ مَقْبَرَةٍ وَمَزْبَلَةٍ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا رَاهِبُ، إِنَّ عِنْدَكَ كَنْزَيْنِ مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيَا لَكَ فِيهِمَا مُعْتَبَرٌ: كَنْزُ الرِّجَالِ،

---

(١) هو الفَقِيْهُ القُدْوَةُ عَالِمُ اليَمَنِ: طَاوُوْسُ بنُ كَيْسَانَ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الفَارِسِيُّ الْخَولَانِيّ الْهَمدَانِي، ثقة فقيه فاضل، من الوسطىٰ من التابعين، سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَلَازَمَ ابْنَ عَبَّاسٍ مُدَّةً، وَهُوَ مَعْدُوْدٌ فِي كُبَرَاءِ أَصْحَابِهِ، رَوَىٰ عَنْهُ عَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَقْرَانِهِ، مَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَةٍ.
انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٥/ ٣٨، رقم (١٣).

(٢) «**إحياء علوم الدين**»: ٤/ ٤٢٤، و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير: ٢/ ١٨٤.
وروي نحوه عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ؛ فأخرج عبد الله بن أحمد في زوائده علىٰ «**الزهد**»: ص٢٧٠، رقم (١٩٥٣)، والبَلَاذُري في «**أنساب الأشراف**»: ١١/ ٣٠٩، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ٢/ ١٠٦، ترجمة (١٦٦)، عَنْ يَاسِينَ الزَّيَّاتِ، قَالَ: جَاءَ ابْنُ الْكَوَّاءِ إِلَىٰ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ ذِكْرًا، وَصَمْتُهُ تَفَكُّرًا، وَمَسِيرُهُ تَدَبُّرًا، فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي»، وروي عن الحسن البصري نحوه أيضا.

(٣) هو الحَافِظُ الإِمَامُ المجاهد: عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ بنِ وَاضِحٍ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَنْظَلِيُّ=

وَكَنْزُ الأَمْوَالِ»(١).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ(٢)، **قَالَ**: «لَأَنْ أَقْرَأَ فِي لَيْلَتِي حَتَّىٰ أُصْبِحَ بِإِذَا زُلْزِلَتْ وَالقَارِعَةِ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِمَا، وَأَتَرَدَّدُ فِيهِمَا، وَأَتَفَكَّرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهُذَّ القُرْآنَ لَيْلَتِي هَذًّا -أَوْ قَالَ-: أَنْثُرُهُ نَثْرًا»(٣).

=

المَرْوَزِيُّ، ولد فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمائَةٍ، وكان ثقة ثبتا فقيها، جمعت فيه خصال الخير، سَمِعَ مِنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ وَهِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ وَهْبٍ وَابْنُ مَهْدِيٍّ، وَطَائِفَةٌ مِنْ أَقرَانِهِ، مات بِهِيْت (وهي بلدة علىٰ الفرات من نواحي بغداد) منصرفا من الغزو سَنَةَ إِحْدَىٰ وَثَمَانِيْنَ وَمائَةٍ.

انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٨/ ٣٧٨، ترجمة (١١٢).

(١) «**سير أعلام النبلاء**»: ٨/ ٤٠٩، و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير: ٢/ ١٨٥.

(٢) هو الإِمَامُ: مُحَمَّدُ بنُ كَعْبِ بنِ سُلَيْمٍ، أَبُو حَمْزَةَ القُرَظِيُّ المَدَنِيُّ، وَكَانَ ثقة يرسل مِنْ أَئِمَّةِ التَّفْسِيْرِ، وهو من الوسطىٰ من التابعين، ولد في آخر خلافة عَلِيّ رضي الله عنه في سنة أربعين، حَدَّثَ عَنْ أَبِي أَيُّوْبَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وَرَوَىٰ عَنْهُ أَخُوْهُ؛ عُثْمَانُ، وَيَزِيْدُ بنُ الهَادِ وَالحَكَمُ بنُ عُتَيْبَةَ وَخَلْقٌ كَثِيْرٌ، تُوُفِّيَ بالمدينة سَنَةَ ثَمَانٍ وَمائَةٍ.

انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٥/ ٦٥، ترجمة (٢٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: ٢/ ١١٨، رقم (٢٨٧)، ووكيع في «**الزهد**»: ص٤٧٩، رقم (٢٢٧)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ٢/ ٥٢١ و١٠/ ٥٢٦، رقم (٨٧٣٢ و٣٠١٦٠)، والفريابي في «**فضائل القرآن**»: ص٢٢٢، رقم (١٣٧)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ٣/ ٢١٤، ترجمة (٢٣٨)، بإسناد صحيح.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسْتَعِينُوا عَلَىٰ الكَلَامِ بِالصَّمْتِ، وَعَلَىٰ الِاسْتِنْبَاطِ بِالفِكْرِ»(١).

وَقَالَ أَيْضًا: «صِحَّةُ النَّظَرِ فِي الأُمُورِ نَجَاةٌ مِنَ الغُرُورِ، وَالعَزْمُ فِي الرَّأْيِ سَلَامَةٌ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالنَّدَمِ، وَالرُّؤْيَةُ وَالفِكْرُ يَكْشِفَانِ عَنِ الحَزْمِ وَالفِطْنَةِ، وَمُشَاوَرَةُ الحُكَمَاءِ ثَبَاتٌ فِي النَّفْسِ وَقُوَّةٌ فِي البَصِيرَةِ، فَفَكِّرْ قَبْلَ أَنْ تَعْزِمَ، وَتَدَبَّرْ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ، وَشَاوِرْ قَبْلَ أَنْ تُقْدِمَ»(٢).

قَالَ الفُضَيْلُ(٣): «إِنَّمَا نَزَلَ القُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا»؛ قِيلَ: كَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟

قَالَ: «لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتَمِرُوا بِأَوَامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنْ نَوَاهِيهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ»(٤).

---

(١) أخرجه الْحَسَن بن الْحُسَيْن بنِ حَمْكَانَ في «**مناقب الشافعي**»: ص١٣٩، رقم (٢٧)، بإسناد صحيح.

(٢) «**إحياء علوم الدين**»: ٤/ ٤٢٥.

(٣) الإِمَامُ الزاهد الثَّبْتُ: الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضِ بنِ مَسْعُوْدٍ، أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيْمِيُّ، أصله من خراسان وسكن مكة، ثقة عابد، حَدَّثَ عَنْ مَنْصُوْرٍ وَالأَعْمَشِ وَخَلْقٍ، وحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ المُبَارَكِ وَيَحْيَىٰ القَطَّانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ، مات بمكة سنة سبع وثمانين ومائة.
انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٨/ ٤٢١، ترجمة (١١٤).

(٤) أخرجه الآجري في «**أخلاق أهل القرآن**»: ص١٠٣، رقم (٣٧)، والخطيب البغدادي =

إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ الإِقْبَالِ عَلَىٰ القُرْآنِ تَدَبُّرًا وَتَفَهُّمًا، فَإِنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ التَّدَبُّرِ أَمْرٌ شَنِيعٌ، وَصُدُودٌ قَبِيحٌ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «عَابَ الْمُنَافِقِينَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَفِي مَعَانِيهِ».

❁ ❁ ❁

=

في «**اقتضاء العلم العمل**»: ص٧٥ و٧٦، رقم (١١٦)، بإسناد صحيح.

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**»: ٥/ ٢٩٠.

مِنْ آثَارِ التَّمَادِي فِي هَجْرِ تَدَبُّرِ الْقُرْآن

ذَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ عَنْهُ مُرَادَهُ بِالكُلِّيَّةِ، أَوْ فَهِمَهُ فَهْمًا ضَعِيفًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ عَنْ حَالِ طَائِفَةٍ مِنَ المُنَافِقِينَ فِي بَلَادَتِهِمْ، وَقِلَّةِ فَهْمِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا يُجَالِسُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ فَلَا يَفْهَمُونَهُ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، قَالُوا لِأَهْلِ العِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦]، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

لَقَدْ تَرْجَمَ الإِمَامُ المُجَدِّدُ -رَحِمه اللهُ تَعَالَىٰ- عَلَىٰ هَذِهِ الآيَةِ فِي «فَضَائِلِ القُرْآنِ»(١)، **بِقَوْلِهِ**: «بَابٌ: الخَوْفُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ القُرْآنَ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُنَافِقِينَ».

فَهُمْ حَالَ سَمَاعِهِمُ القُرْآنَ، لَا يُصْغُونَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يُحْضِرُونَ قُلُوبَهُمْ؛ وَإِنَّمَا يَتَشَاغَلُونَ عَنْ ذَلِكَ قَصْدًا، كَمَا هُوَ دَيْدَنُ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الكَافِرِينَ،

---

(١) «فضائل القرآن» ضمن «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع ابن القاسم: ١٣/ ٩، (د.م، د.ن، ط٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. فَهَؤُلَاءِ لَا يَسْمَعُونَ سَمَاعًا يَنْفَعُهُمْ؛ وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ مَا تَقُومُ بِهِ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، أَمَّا قُلُوبُهُمْ: فَالقُرْآنُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا -عِيَاذًا بِاللهِ-، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالطَّبْعِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ؛ جَزَاءً وِفَاقًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(١): «أَغْطِيَةً؛ لِئَلَّا يَفْقَهُوا القُرْآنَ».

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «... وَالمَعْنَىٰ: جَعَلْنَا بَيْنَ القُرْآنِ -إِذَا قَرَأْتَهُ- وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ فَهْمِهِ، وَتَدَبُّرِهِ، وَالإِيمَانِ بِهِ؛ وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ الثَّلَاثَةُ المَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، فَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ ذَلِكَ بِجَعْلِهِ: فَالحِجَابُ يَمْنَعُ رُؤْيَةَ الحَقِّ، وَالأَكِنَّةُ تَمْنَعُ مِنْ فَهْمِهِ، وَالوَقْرُ يَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِهِ».

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

---

(١) «**تفسير القرآن العظيم**»: ٣/ ٢٤٧.

(٢) «**شفاء العليل**»: الباب الخامس عشر: في الطبع والغل، ص٩٤، (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ط١، ١٣٢٣هـ).

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنْزَعُ عَنْهُمْ فَهْمَ القُرْآنِ، وَأَصْرِفُهُمْ عَنْ آيَاتِي»(١).

قَالَ العَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «... وَقَدْ ذَمَّ جَلَّ وَعَلَا الْمُعْرِضَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَمَعْلُومٌ، أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِتَدَبُّرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ المَجِيدِ أَيْ: تَصَفُّحِهَا، وَتَفَهُّمِهَا، وَإِدْرَاكِ مَعَانِيهَا، وَالْعَمَلِ بِهَا فَإِنَّهُ مُعْرِضٌ عَنْهَا، غَيْرُ مُتَدَبِّرٍ لَهَا؛ فَيَسْتَحِقُّ الْإِنْكَارَ وَالتَّوْبِيخَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَاتِ، إِنْ كَانَ اللهُ أَعْطَاهُ فَهْمًا يَقْدِرُ بِهِ عَلَىٰ التَّدَبُّرِ، وَقَدْ شَكَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ رَبِّهِ مِنْ هَجْرِ قَوْمِهِ هَذَا الْقُرْآنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَتَفَهُّمَهُ، وَتَعَلُّمَهُ، وَالْعَمَلَ بِهِ؛ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْمُسْلِمِينَ.

---

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: ٩/ ٦٠، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: ٥/ ١٥٦٧، وأبو الشيخ في «**العظمة**»: ١/ ٣١٥، رقم (٥٨)، بإسناد صحيح، وعزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: ٣/ ١٢٧ لابن المنذر، وقد تقدم في المحاضرة الأولىٰ.

(٢) «**أضواء البيان**»: ٧/ ٤٥٧ و٤٥٨، (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ).

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُشْتَغِلِينَ بِذَلِكَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ فِي «الصَّحِيحِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٩].

فَإِعْرَاضُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، عَنِ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللهِ، وَتَفَهُّمِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَبِالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ الْمُبَيِّنَةِ لَهُ؛ -إِعْرَاضُهُمْ هَذَا- مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَاكِرِ وَأَشْنَعِهَا، وَإِنْ ظَنَّ فَاعِلُوهُ أَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إِلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ، الَّذِي هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ التَّرْدِيدِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ».

---

(١) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٩/ ٧٤، رقم (٥٠٢٧)، وفي رواية له: رقم (٥٠٢٨)، بلفظ: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

(٢) «**مقدمة في أصول التفسير**» ضمن «**مجموع الفتاوىٰ**» جمع ابن القاسم: ١٣/ ٣٣٠.

وَقَدْ أَشَارَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ التَّمَادِي فِي هَجْرِ التَّدَبُّرِ، مِنْ قَسْوَةِ القَلْبِ وَعَدَمِ الخُشُوعِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ، أَنَّ ضَلَالَ مَنْ ضَلَّ مِنَ النَّاسِ، مَرَدُّهُ إِلَىٰ تَرْكِ تَدَبُّرِ القُرْآنِ وَالإِعْرَاضِ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٦- ٦٨].

وَلِهَذَا كَانَ تَرْكُ تَدَبُّرِ القُرْآنِ نَوْعًا مِنْ هِجْرَانِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَتَرْكُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَتَرْكُ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هِجْرَانِهِ. وَالعُدُولُ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ: مِنْ شِعْرٍ، أَوْ قَوْلٍ، أَوْ غِنَاءٍ، أَوْ لَهْوٍ، أَوْ كَلَامٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِهِ؛ كُلُّ هَذَا مِنْ هِجْرَانِهِ، فَنَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ المَنَّانَ، القَادِرَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ يُخَلِّصَنَا مِمَّا يُسْخِطُهُ، وَيَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرْضِيهِ، مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، عَلَىٰ الوَجْهِ الذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ».

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٦/ ١٠٨ و١٠٩.

www.menhaj.com

وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْيَهُودِ مَثَلًا مَعَ التَّوْرَاةِ، يَحْمِلُ عَلَىٰ التَّنْفِيرِ مِنْ مُشَابَهَتِهِمْ، فَقَالَ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

فَضَرَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْيَهُودِ هَذَا المَثَل؛ لِأَنَّهُ حَمَّلَهُمُ التَّوْرَاةَ فَلَمْ يَحْمِلُوهَا -أَيْ: لَمْ يَفْهَمُوهَا، وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا فِيهَا-، وَبِالتَّالِي لَمْ يَعْمَلُوا بِتَعَالِيمِهَا.

قَالَ الطُّرْطُوشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «فَدَخَلَ فِي عُمُومِ هَذَا مَنْ يَحْفَظُ القُرْآنَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا، ثُمَّ لَا يَفْهَمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ»(٢).

وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، فَإِنَّ هَذَا ذَمٌّ لِأَهْلِ الكِتَابِ، وَهُوَ تَحْذِيرٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

---

(١) هو الإِمَامُ الحافظ الزَّاهِدُ الفَقِيْه شَيْخُ المَالِكِيَّة: مُحَمَّدُ بنُ الوَلِيْدِ بنِ خَلَفٍ، أَبُو بَكْرٍ الأَنْدَلُسِيّ الطُّرْطُوشِي، نزيل الإِسْكَنْدَرِيَّة، (وَطُرْطُوشَة: هِيَ آخِرُ حَدِّ المُسْلِمِين مِنْ شِمَالِي الأَنْدَلُس)، لَازَمَ القَاضِي أَبَا الوَلِيْدِ البَاجِي وَأَخَذَ عَنْهُ الفقه وَتَفَقَّهَ أَيْضًا عِنْد أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيّ وَسَمِعَ بِالبَصْرَةِ (سُنَن أَبِي دَاوُدَ) مِنْ أَبِي عَلِيٍّ التُّسْتَرِيّ، وحَدَّثَ عَنْهُ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ وأَبُو بَكْرٍ ابنُ العربِي وَآخَرُوْنَ، قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال: «كَانَ إِمَامًا عَالِمًا زَاهِدًا وَرِعًا دينًا مُتَوَاضِعًا متقشِّفًا متقلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا»، وكان شديد الإنكار للبدع والمبتدعين؛ وله رسالة في الرد علىٰ كتاب «الإحياء»، وقَالَ: «وَهُوَ لَعَمْرُو الله، أَشْبَهُ بِإِمَاتَةِ عُلُوْم الدِّين»، تُوُفِّيَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّة سَنَةَ عِشْرِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.

انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ١٩/ ٤٩٠، رقم (٢٨٥).

(٢) «**الحوادث والبدع**»: ص١٠١، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»(١): «وَالْأَمَانِيُّ: جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ، وَهِيَ التِّلَاوَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، أَيْ: إِذَا تَلَا، أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ.

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

تَمَنَّىٰ كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ لَاقَىٰ حِمَامَ(٢) الْمَقَادِرِ(٣)».

فَكَمْ هُمُ الذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ العَزِيزَ اليَوْمَ، وَلَا يَعُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ، بَلْ يَكْتَفُونَ بِمُجَرَّدِ تِلَاوَةِ اللِّسَانِ؟!

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! مَاذَا حُرِمَ المُعْرِضُونَ عَنِ القُرْآنِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ؟!

❁ ❁ ❁

---

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**»: ٢/ ٦.

(٢) (الحِمام): الموت، و(المقادير): جمع القدر.

(٣) البيت في ديوان كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ص٥٣، رقم (٣٣)، (بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٧م)، قاله في رثاء عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد ذُكر في «**العين**»: ٨/ ٣٩٠، وفي «**معاني القرآن**» للزجاج: ٣/ ٤٣٥، وفي «**مقاييس اللغة**»: ٥/ ٢٧٧، وفي «**لسان العرب**»: ١٥/ ٢٩٤، بلا نسبة، وقد نسب البيت أيضا لحسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وليس في ديوانه، والله أعلم.

ذَمُّ الْمُعْرِضِينَ عَنْ كِتَابِ اللهِ

لَقَدْ ذَمَّ اللهُ جَلَّوَعَلَا الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩- ٥١].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧- ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ القُرْآنِ المَجِيدِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَيَفْسُدَ عَلَيْهِ حَالُهُ، قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، يَعْنِي: مُخْتَلِطٍ عَلَيْهِمْ، مُلْتَبِسٍ(١).

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره»: ٣/ ٢٢٨، رقم (٢٩٤٨)، والطبري في «جامع البيان»: ٢٦/ ١٤٩ و١٥٠، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، يَقُولُ: «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُخْتَلِطٍ عَلَيْهِمْ مُلْتَبِسٍ، لَا يَعْرِفُونَ حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ، من قولهم: قَدْ مَرَجَ أَمْرُ النَّاسِ: إِذَا اخْتَلَطَ وَأُهْمِلَ»، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد نحوه.

وَفِي الإِعْرَاضِ عَنِ القُرْآنِ اتِّبَاعٌ لِلْهَوَىٰ، وَإِعْرَاضٌ عَنِ الهُدَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وَالإِعْرَاضُ عَنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا عُنْوَانُ الشَّقَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ القُرْآنِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ القِيَامَةِ.

فَلَمَّا أَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرِ وَعَمِيَتْ عَنْهُ بَصِيرَتُهُ، أَعْمَىٰ اللهُ بَصَرَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فَلَيْسَ فِي الإِعْرَاضِ عَنِ القُرْآنِ إِلَّا الفَسَادُ وَالدَّمَارُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢-٢٤].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ(١): «... وَكَأَنَّ القَلْبَ بِمَنْزِلَةِ البَابِ المُرْتَجِ، الذِي قَدْ ضُرِبَ عَلَيْهِ قُفْلٌ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُفْتَحِ القُفْلُ، لَا يُمْكِنُ فَتْحُ البَابِ

(١) «شفاء العليل»: ص٩٥.

www.menhag-un.com

وَالوُصُولُ إِلَىٰ مَا وَرَاءَهُ، وَكَذَلِكَ مَا لَمْ يُرْفَعِ الخَتْمُ وَالقُفْلُ عَنِ القَلْبِ لَمْ يَدْخُلْهُ الإِيمَانُ وَالقُرْآنُ».

وَفِي إِضَافَةِ الأَقْفَالِ إِلَىٰ ضَمِيرِهَا لَطِيفَةٌ، أَشَارَ إِلَيْهَا الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ(١): «... وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**أَقْفَالُهَآ**﴾ -بِالتَّعْرِيفِ-، نَوْعُ تَأْكِيدٍ؛ فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ: أَقْفَالٌ، لَذَهَبَ الوَهَمُ إِلَىٰ مَا يُعْرَفُ بِهَذَا الِاسْمِ، فَلَمَّا أَضَافَهَا إِلَىٰ القُلُوبِ عُلِمَ أَنَّ المُرَادَ بِهَا، مَا هُوَ لِلْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ القُفْلِ لِلْبَابِ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَقْفَالَهَا المُخْتَصَّةَ بِهَا، التِي لَا تَكُونُ لِغَيْرِهَا»، لِذَا قَالَ: ﴿**أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾.

وَإِضَافَةُ (أَقْفَال) إِلَىٰ ضَمِيرِ (قُلُوب)، نَظْمٌ بَدِيعٌ، أَشَارَ إِلَىٰ اخْتِصَاصِ الأَقْفَالِ بِتِلْكَ القُلُوبِ -أَيْ: مُلَازَمَتِهَا لَهَا-، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهَا قَاسِيَةٌ.

وَتَأَمَّلْ، كَيْفَ جَاءَتْ ﴿**عَلَىٰ قُلُوبٍ**﴾ مُنَكَّرَةً؟! فَلَمْ يَقُلْ: عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»(٢): «... لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ؛ لَمْ يَدْخُلْ قَلْبُ غَيْرِهِمْ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ. وَالْمُرَادُ: أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ، وَقُلُوبِ مَنْ كَانُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَقْفَالُهَا؟».

وَإِذَا كَانَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا قَدْ ذَمَّ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ، لِعَدَمِ تَدَبُّرِهِمْ لِكَلَامِهِ، فَمَا الحَالُ إِذًا فِيمَنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يَتَدَبَّرْهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَقَدْ نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ؟!

---

(١) المصدر السابق: ص٩٦.

(٢) «**الجامع لأحكام القرآن**»: ١٦/ ٢٤٧.

فَالْمَقْصُودُ: أَنَّهُ لَنْ يَنْتَفِعَ أَحَدٌ بِالكِتَابِ العَزِيزِ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الحِكْمَةِ التِي أَرَادَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، إِلَّا إِذَا تَدَبَّرَ وَأَيْقَنَ أَنَّهُ كَلَامُ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا، وَتَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ؛ حِينَهَا يَنْتَفِعُ بِالقُرْآنِ، وَتَظْهَرُ عَلَيْهِ آثَارُهُ، وَتُشْرِقُ فِي قَلْبِهِ أَنْوَارُهُ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١].

وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي الذِّرْوَةِ العُلْيَا -كَمَا مَرَّ- لِلتَّدَبُّرِ فِي كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ...﴾ [إبراهيم: ٣٦] الْآيَةَ.

وَقَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، وَبَكَىٰ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ-، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟».

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ-، فَقَالَ اللهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**».

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ،...، ١/ ١٩١، رقم (٢٠٢).

قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ. قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَىٰ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَىٰ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!

قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾** الآيَةَ [آل عمران: ١٩٠]. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ(١).

---

(١) أخرجه ابن حبان في «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: ٢/ ٣٨٦ و٣٨٧، رقم (٦٢٠)، وأخرجه أيضا عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «**التفكر والاعتبار**» كما في «**تفسير ابن كثير**»: ٢/ ١٨٩، وابن المنذر في «**تفسيره**»: ٢/ ٥٣٢ و٥٣٣، رقم (١٢٦١)، والطحاوي في «**شرح مشكل الآثار**»: ١٢/ ٣٣ و٣٤، رقم (٤٦١٨)، والخرائطي في «**اعتلال القلوب**»: ٢/ ٣٠٥، رقم (٦١٠)، وأبو الشيخ في «**أخلاق النبي ﷺ**»: ٣/ ١٢٠ و١٦٧، رقم (٥٤٤ و٥٦٨)، وابْنُ مَرْدويه كما في «**تفسير ابن كثير**»: ٢/ ١٨٩، والأصبهاني في «**الترغيب والترهيب**»: ١/ ٣٨٧، رقم (٦٦٦)، و٢/ ٤٤١، رقم (١٩٥١).

والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: ١/ ١٤٧، رقم (٦٨)، و«**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٢/ ١٨٥ و١٨٦، رقم (١٤٦٨).

وأصله في «الصحيحين»: «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ، سُورَةُ الفَتْحِ، بَابُ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾...، ٨/ ٥٨٤، رقم (٤٨٣٧)، و«**صحيح مسلم**»: =

فَهَذِهِ الآيَاتُ، لَعَلَّهَا مِنْ أَكْثَرِ مَا سَمِعْنَا مِنْ أَئِمَّتِنَا فِي صَلَوَاتِنَا، فَأَيْنَ التَّفَكُّرُ وَأَيْنَ التَّدَبُّرُ؟!

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١): عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي! وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!».

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم الدَّعْوَةُ إِلَىٰ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، حِكَمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَقَصَصِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَمَوَاعِظِهِ وَأَمْثَالِهِ، وَتَشْرِيعَاتِهِ وَإِعْجَازِهِ؛ فَهَذَا عُمَرُ رضي الله عنه يَسْأَلُ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم عَنْ مَثَلٍ ضَرَبَهُ اللهُ فِي القُرْآنِ، لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ نَوَّرَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، وَقَرَأَ القُرْآنَ وَتَدَبَّرَهُ حَقَّ تَدَبُّرِهِ، كَمَا هُوَ حَالُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -ﷺ، وَرضي الله عنهم-.

فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(٢): أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟

=

كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، بَابُ إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ...، ٤/ ٢١٧٢، رقم (٢٨٢٠)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ قَامَ حَتَّىٰ تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

(١) «**صحيح مسلم**»: كِتَابُ الزُّهْدِ، ٤/ ٢٢٧٣، رقم (٢٩٥٨).

(٢) «**صحيح البخاري**»: كتاب التفسير، سورة البقرة، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ

=

قَالُوا: اللهُ أَعْلَمُ.

فَغَضِبَ عُمَرُ، فَقَالَ: «قُولُوا: نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ».

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ.

قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي، قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ.

قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ!

قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ ﷻ، ثُمَّ بَعَثَ اللهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّىٰ أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ».

لِهَذَا كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا مَرَّ بِمَثَلٍ لَا يَفْهَمُهُ بَكَىٰ، يَقُولُ: «لَسْتُ مِنَ العَالِمِينَ»؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣][(١)].

= لَهُمْ جَنَّةٌ﴾، ٨/ ٢٠١ و٢٠٢، رقم (٤٥٣٨).

(١) «**مفتاح دار السعادة**»: ص١٣٨، (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٣٢هـ).

وأخرج القاسم بن سلام في «**فضائل القرآن**»: ص٩٧، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: ٣/ ٣٠٦٤، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ٥/ ٩٥، ترجمة (٢٩٨)، والمُسْتَغْفِرِيُّ في «**فضائل القرآن**»: ١/ ٢٧٦، رقم (٢٧٤)، بإسناد صحيح، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: «مَا =

قَالَ ابْنُ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أَمْثَالُ القُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِهِ(٢)، وَعَدَّهُ الشَّافِعِيُّ مِمَّا يَجِبُ عَلَىٰ المُجْتَهِدِ مَعْرِفَتُهُ(٣)، ضَرَبَهَا اللهُ تَذْكِيرًا وَوَعْظًا(٤)،.....

=

مَرَرْتُ بِآيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ لَا أَعْرِفُهَا إِلَّا أَحْزَنَنِي؛ لِأَنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾».

وفي رواية: «إِنِّي لَأَمُرُّ بِالْمَثَلِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ وَلَا أَعْرِفُهُ فَأَغْتَمُّ بِهِ»، وفي أخرىٰ: «أَكْرَهُ أَنْ أَمُرَّ، بِمَثَلٍ فِي الْقُرْآنِ فَلَا أَعْرِفُهُ».

(١) هو الفقيه الحنبلي: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، أبو عبد الله العاصمي النجدي القحطاني، جمع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية في ٣٠ مجلدا، سافر من أجل البحث عنها إلىٰ بلاد كثيرة، وله «الدرر السنية»: فتاوىٰ ورسائل لعلماء نجد، وكان من أوعية العلم، جلدًا في سبيل الطلب فقيهًا نسابة مؤرخًا، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف.

انظر: «**الأعلام**» للزركلي: ٣/ ٣٣٦.

(٢) أي: من أعظم علم القرآن، قال الماوردي: «والناس في غفلة عنه؛ لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام، «حاشية ابن القاسم علىٰ المقدمة».

(٣) وقال: «ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال، الدوال علىٰ طاعته المبينة لاجتناب نواهيه»، «حاشية ابن القاسم».

(٤) مما اشتمل منها علىٰ تفاوت في ثواب أو علىٰ مدح أو ذم ونحوه، وقال غير واحد: «ضرب الله الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، منها: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس»، «حاشية ابن القاسم».

وَهِيَ تُصَوِّرُ المَعَانِيَ بِصُورَةِ الأَشْخَاصِ(١)»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَىٰ مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟

فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ»، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا أُرِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ

---

(١) لأنها أثبت في الأذهان؛ لاستعانة الذهن فيها بالحواس، قال إبراهيم: «هي تشبيه شيء بشيء، في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»، قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥] فامتن تعالىٰ علينا بذلك، لما تضمنه من الفوائد، فإنها تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وتؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

والأمثال كثيرة في كتاب الله، وهي أقسام، منها: ما هو مصرح به: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الرعد: ١٧] الآية، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٨]، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٦]. والكامنة: كما نقل الماوردي: «أنها تخرج منها أمثال العرب»، نحو: ليس الخبر كالعيان، في نحو: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، والجارية مجرىٰ المثل: نحو: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ [آل عمران: ٩٢] الآية، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٨] وغير ذلك، «حاشية ابن القاسم».

(٢) «مقدمة التفسير»: ص٩٧، (د.م، د.ن، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ١- ٢]، حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَالفَتْحُ، فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو أَصْحَابَهُ الكِرَامَ -رَضوان اللهُ عَلَيْهِمْ- إِلَىٰ تَدَبُّرِ القُرْآنِ.

فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**وَاللهِ، لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

فَالسَّعِيدُ كُلُّ السَّعَادَةِ، مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْإِقْبَالِ عَلَىٰ القُرْآنِ، وَتَدَبُّرِهِ، وَالعَمَلِ بِهِ؛ فَإِنَّ عُلُومَ القُرْآنِ أَفْضَلُ العُلُومِ، وَشَرَفَ أَهْلِهِ أَمْرٌ مَعْلُومٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كِتَاب المَغَازِي، باب (٥١)، ٨/ ٢٠، رقم (٤٢٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب صلاة المسافرين، بَاب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، ١/ ٥٥٦، رقم (٨١٠).

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فَإِنَّهُ أَعْظَمُ وَاعِظٍ وَأَكْبَرُ زَاجِرٍ، فَمَا أَنْزَلَ اللهُ وَاعِظًا مِثْلَ هَذَا الكِتَابِ العَزِيزِ، قال تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

فَنَخْلُصُ مِنْ هَذَا: بِأَنَّ تَدَبُّرَ القُرْآنِ وَاجِبٌ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ حِيَالَ كِتَابِ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا، وَهُوَ مِنَ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَالسَّعِيدُ هُوَ الذِي يَمْتَاحُ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يَحُوزَ النَّصِيبَ الأَوْفَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِكِتَابِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إِلَّا إِذَا تَدَبَّرَ آيَاتِهِ، وَرَبَطَ الآيَةَ بِالآيَةِ، فَمَا يَرْبِطُ الكَلِمَةَ بِالكَلِمَةِ؛ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَعَنْ كِتَابِهِ، فَعَلَىٰ المُسْلِمِ إِذَا كَانَ مُنْتَسِبًا لِصَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ الصَّالِحِ، أَنْ يَكُونَ آخِذًا بِبَعْضِ هَدْيِهِمْ حِيَالَ كِتَابِ رَبِّهِمْ جَلَّوَعَلَا، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْكُفُونَ عَلَىٰ تَدَبُّرِ آيَاتِ الكِتَابِ العَزِيزِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُرَىٰ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ، وَاللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هُوَ الذِي يُوَفِّقُ وَهُوَ الذِي يُعِينُ، وَهُوَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

www.menhag-un.com